فلسفة التأريخ عند آرنولد توينبي

أ. م. د.قاسم حسن آل شامان السامرائي
جامعة تكريت/كلية التربية/قسم التاريخ

مُقَدِّمَة

اختلفت النظرة إلى التأريخ مع اختلاف العصور، وذلك ناجم عن صلتها بعاملين هما التحولات الثقافية والأوضاع الحضارية، وعلى ذلك فإن الدراسة التاريخية وفكرة التأريخ قد تأثرتا بالتطور الحاصل بالفكر العلمي والفلسفي خصوصاً، وقد كان للفلاسفة والمؤرخون مساهماتهم في فلسفة التأريخ، على ان مساهمة الفلاسفة ربما تكون أكبر.

وفي التأريخ ومفهومه، نجد آراء ووجهات نظر مختلفة، نستطيع ملاحظتها ضمن مسارين:

الأول: المسار الذي يحاول استخلاص قوانين وقواعد أو وجهات عامة لطريقة سير وحياة المجتمعات البشرية في التأريخ .

الثاني: يعارض الاتجاه الأول، ويقرر ان التأريخ مجموعة أحداث مفردة لا تحكمها قيم أو مبادئ عامة ولا حتى قوانين، على الرغم مما قد يظهر بينها من صلات وترابط أسباب.

ففي القرن العشرين برز من بين المؤرخين من وضع قاعدة ونظاماً للتأريخ على أسس أكثر علمية، ومنهم الألماني شبنكلر والإنكليزي آرنولد توينبي، وكلاهما تعرض لتأريخ البشرية وناقشه على ضوء قوانين ومفاهيم تحكم التحول الحضاري، ثم تبع ذلك بأن أتخذ نهجهما هذا طريقاً للتنبؤ بمستقبل الحضارة، وكلاهما له نظرته الجدية إلى التمثيل على فرضياته الأساسية، على أننا هنا لابد ان نذكر ان توينبي

كان أوضح فيما أطلقه من مفاهيم وأشمل وأدق مادة علمية أما في وحداته الحضارية وتوضيحاته فقد كان أكثر سعة(*).

لقد كتب توينبي وجهة نظره عند دراسته للتأريخ فكان محورها ((التحدي والاستجابة))، فدرس تأريخ العالم وكتب فيه، وحلل حضاراته، قيامها وسقوطها، فلم تكن آراؤه قد كسبت الرضا التام من الجميع، وهذا أمر وارد تجاه مفكر ولد في بيئة غربية وعاش في مناخ اوربي، وترعرع في أسرة مثقفة لها ارثها الثقافي والعلمي ولها تقاليدها .

وتكمن أهمية توينبي في نظريته التي نظر بها إلى الحضارات العالمية المختلفة على عكس الفلاسفة والمؤرخين الآخرين الذين ركزوا على الحضارة الغربية هاملين الحضارات الاخرى.

امتازت آراء توينبي بالعمق الشديد، وكانت كتاباته تحمل العبارات اكثر مما تطيق من المعاني والافكار، وكأنه يرى من يقرأ له هم العلماء وكبار المثقفين حسب، الامر الذي أوجد ني أمام كتاب فيه من العبارات القوية الغامضة بل والمعقدة بعض الاحيان حتى أعانتني بعض المؤلفات الحديثة على فهمها .

ان دراسة فلسفة هذا العالم ليست سهلة، ولن يكون الباحث قادراً على الإحاطة بفكره ونظرياته بمثل هذا البحث القصير، وعليه فقد وجدت نفسي انتقي من جوهر نظراته للتأريخ ما يكفي فدرست سيرته ونشأته والمؤثرات الفكرية التي كان لها الاثر عليه، ثم بعض المقارنة بين فكر توينبي وهيجل ثم تطرقت إلى نظريته المعروفة التحدي والإستجابة وبعض تطبيقاتها ثم تطرقت إلى فلسفته القائمة على الجمع بين الإتجاهين المادي والروحي، فتناولت بدايات الحضارات وارتقائها وانهيارها واخيراً تحللها واسباب ذلك .

ختاماً أرجو أن أكون موفقاً في استعراضي السريع لفكر هذا العلامة لأقدم هذا الجهد المتواضع إلى أستاذنا الجليل الدكتور عبد العزيز الدوري وقد تدارسنا سويةً في أواخر تسعينات القرن المنصرم فكرة التأريخ وفلسفته أيام الدراسة لنيل الدكتوراه في الجامعة الأردنية بعمان والله ولي التوفيق .

مولده ونشأته :

ولد آرنولد جوزيف توينبي في لندن ١٤ نيسان ١٨٨٩، وينحدر من أسرة متوسطة إذ كان والده يعمل بشركة للشاي، اما والدته فهي حاصلة على شهادة البكالوريوس في التأريخ إذ كانت والدته صاحبة فضل عليه في تعلمه للتأريخ، اذ كانت صحبته لها صحبة فكرية نادرة(١).

أما اسمه فقد أقتبس من اسم عمه (آرنولد توينبي) الذي عاش بين عامي ١٨٥٢-١٨٨٥ وهو الاقتصادي والمصلح الاجتماعي في حين كان جده جراحاً شهيراً هو جوزيف توينبي(٢).

درس توينبي بمدرسة وينشستر وبكلية باليول في اكسفورد لدراسة التأريخ القديم فيها وعين بها بعد تخرجه(٣)، ثم اختير عضواً بالوفد البريطاني لمؤتمر الصلح المنعقد بباريس خلال عامي ١٩١٩، ١٩٤٦، وكان قد شغل منصب استاذ التأريخ واللغات والاداب البيزنطية واليونانية الحديثة بجامعة لندن للفترة من ١٩١٩- ١٩٢٥م إذ كان هذا التأريخ الاخير بداية عمله مستشاراً لوزارة الخارجية البريطانية طيلة ثلاثين عاماً، وحتى تقاعده عام ١٩٥٥م وهو يبلغ السن السادسة والستين(٤).

مؤلفاته:

لتوينبي عدداً من المؤلفات يقف في مقدمتها مؤلفه الضخم دراسة للتأريخ طبع بين عامي (١٩٣٤- ١٩٥٤)(٥)، الذي يقع في اثنى عشر مجلداً، ثم الحضارة في الميزان، وكتاب العلم والغرب، والبقاء في المستقبل(٦)، وتأريخ الحضارة الهيلينية، ومعالجة مؤرخ للدين، محاكمة الحضارة، الحرب والحضارة، أمريكا والثورة العالمية، الثورة الصناعية، التجربة في الحضارة الغربية(٧).

فقد بدأ يفكر في مؤلفه الضخم دراسة للتأريخ عام ١٩٢١م إذ كانت فكرته تختمر في ذهنه عندما كان يشاهد مسرحية (انتيجونة) لسوفكليس، لكن هذه الفكرة لم تنتقل إلى حيز التنفيذ الا في سنة ١٩٣٠، وإذ اخذ في تأليف اجزاء كتابه التي

بلغت١٢جزءاً على مدى٣١ عاماً[٨]، وانتهى في العام١٩٦١م حيث كان الجزآن الاخيران عبارة عن ردود على نقاده[٩].

المؤثرات الفكرية :

كانت ثقافة توينبي هيلينية دسمة، ففي العام ١٩١١م يكون قد أتم خمسة عشر عاماً في دراسة اللاتينية واثني عشر عاماً في دراسة اليونانية، فكان لذلك التثقيف أثره الناجح في إكسابه مناعة ضد النعرة الثقافية القومية إذ يصعب على الرجل ذي الثقافة الهيلينية أن يقع في خطأ اعتبار المسيحية الغربية افضل مجتمع يمكن ان يظهر في الوجود[١٠].

ففي دراسته يتخذ توينبي بعض المفاهيم العامة مثل مفهوم التبعية أو الالتحاق Affiliation ازاؤه البنوة Appaventation، وعلى ذلك يمكن ترتيب المجتمعات، فمفهوم ((المجتمع البدائي)) يقابل ((الحضارة))، فتوينبي ينفي وحدة الحضارة البشرية ويحسب انحلالها وهماً من حيث الفهم والتقدير، ومنها كذلك فترة الفصل Interregnum، أي فترة الفوضى بين انحلال مجتمع وظهور آخر يلتحق به، ومنها كذلك مفهوم ((البروليتاريا الداخلية)) أو جماهير في مجتمع لا تشعر بارتباط في الوجهة به، كالمسيحية قرب نهاية المجتمع الهيليني، ثم ((البروليتاريا)) أو العالم البربري الذي يحيط بمجتمع معين[١١].

لقد كانت دراسته للمؤلفين القدامى وبالذات الإغريق منهم مصدر الهام له، إذ يقال أن توينبي يمكنه التفكير باللغة الإغريقية مثلما يفكر بالإنكليزية[١٢].

ثم كان نيقولاي دانيلفسكي المفكر الروسي بمثابة الرائد الروحي لتوينبي، فقد نشر هذا المفكر مقالات في مجلة زاريا في العام١٨٦٩ تحت عنوان ((روسيا وأوربا ووجهة نظر في العلاقات السياسية بين العالم السلافي والعالم الجرماني والروماني)) وقد كان المبدأ الهام في تلك المقالات هو المبدأ الذي سبق به توينبي بخمس وسبعين عاماً وموجزه (أن الحضارة هي الوحدة الحقيقية للدراسة التاريخية)[١٣]، وقد تعرض هذا المبدأ لانتقادات شديدة من قبل دارسي الحضارات منذ ما يقرب من مئة

عام، والذي جدده وقال به في ربع القرن الأخير أر نولد توينبي الذي صاغه بقوله ((أن الأمة هي الوحدة البسيطة للدراسة التاريخية وهي ليست ايضاً – في اللغة الثانية من الميزان – مجموع البشرية ككل))[١٤].

ويظهر أن توينبي حاول أن يدرس بصورة مبدئية تاريخ البشرية بصورة تجريبية لينتهي بها الى مبادئ وقوانين تصدق على التاريخ كله، وهو يشير الى أن طريقته استقرائية، فهو يريد ((أن يجرب تناول الشؤون البشرية بالأسلوب العلمي)) وعلى ذلك فقد بدأ بالبحث عن وحدة تكون ((حقلاً مفهوماً للدراسة)) فوجدها في((الحضارة)) الكاملة بالمقابلة ((لاجزاء معزولة منها بصورة مصطنعة مثل الدولة القومية))[١٥].

ويشير توينبي الى المؤرخين الذين أفاد منهم، ومنهم ابن خلدون الذي أشار إليه في عدة مواضع من كتابه (دراسة للتاريخ) فقد رأى توينبي أن ابن خلدون وضع فلسفة للتاريخ من غير مجاملة تُعدّ من اعظم الأعمال التي أبدعها العقل في أي زمان ومكان[١٦].

بين توينبي وهيكل :

هناك تشابه في بعض اوجه التفكير بين توينبي وهيجل بل فقد عُدّت بعض أفكار توينبي امتداداً لآراء هيجل، إذ أعتقد بان التاريخ البشري هو جملة من الحلقات المتناهية زماناً ومكاناً وتمثل كل حلقة منها حضارة، تولد ثم تنموا ثم تتداعى[١٧]، فهذا النمو والانهيار الذي يحدث في تاريخ كل حضارة ما هو إلا مراحل نحو تحقق أعلى للوعي الديني، ولكن على الرغم من هذا التشابه ما بين هيجل وتوينبي في تفسير مسار التاريخ فان خط سير التاريخ عند هيجل متصاعد دائماً يعتمد على الرقي إذ كان هيجل يدرك جيداً أن التقدم التاريخي ترافقه فترات ركود وحركات ارتداد الى الوراء فقد ذكر أن التاريخ العالمي عرف فترات طويلة حين كان التقدم الى الأمام يتوقف، ومع ذلك فظواهر النكوص هذه لا تنفي الاتجاه العام للتاريخ الذي يتمثل في تطوره المتواصل[١٨].

وبالنسبة لغاية التاريخ فهناك توافق ايضاً بين هيجل وتوينبي، فتاريخ البشرية عند هيجل ما هو إلا تطورها الروحي في نهاية المطاف، وصيرورة الروح تكمن في شكل حركات تاريخية متبدلة، ذلك هو العلم الإلهي الذي يوائم بين الروح وبين التاريخ الكلي، فالتاريخ العالمي نفسه حسب رأي هيجل ليس سوى تجلي للروح واكثر من ذلك، فالتاريخ العالمي يتم في المجال الروحي، وليس المقصود هنا الروح الإنسانية بل روح عالمي خارج الزمن يمتزج بمفهوم الله، وبهذا أصبحت قوانين تطور العالم الواقعي قوانين الروح العالمي، وبالنسبة لتوينبي فانه يرى أن المراحل التي تمر بها المدنيات من ميلاد، نمو، وانهيار ما هي ألا مراحل من تحقق أعلى للدين، ولذلك يجب أن ينظر الى هذه المدنيات لافي حدود مصائرها الخاصة بل في حدود إسهامها في التاريخ الديني، ويكون التاريخ الديني هنا المضمون الرئيسي للتاريخ الإنساني، فالتطور التقدمي أذاً في مجال الأديان فقط ونقطة الذروة في تطور التاريخ هي إنجاز الخطة الإلهية، إذ أن غاية الإله من خلق التاريخ من خلال أفعال الناس هو أن يمكننا من أن تصبح لدينا فكرة عن هذه الخطة[١٩].

وهكذا يتفق كل من هيجل وتوينبي على الغاية النهائية للتاريخ، فهما يهدفان الى البرهنة على المفهوم الديني عن مصير البشرية من خلال دراسة مسار تطور التاريخ، ويغلب عند كل منهما الطابع اللاهوتي لمفهوم التاريخ ومساره والغاية النهائية منه[٢٠].

أن توينبي وعندما يستعرض فكره ومنهجه التاريخي تجده قد بدأ من حيث انتهى الآخرون و كما أن صميم منهجه وتصوره التاريخي يتصل بجذور عميقة الغور مع كل من سبقوه، فلا أحد يستطيع أن يحدد من أين بدأ توينبي وأين انتهى الآخرون على وجه التحديد، أن أصالة هذا المفكر تنبع أولا وقبل كل شيء من ذلك الاستيعاب المذهل لنظريات كل من سبقه ثم أحاطته الشاملة التي تبلغ احياناً حد الخوارق في الفكر الإنساني، ولكن الأصالة هنا لاتعني رفضاً مطلقاً لجهود الآخرين على هذا الطريق[٢١].

نظرية التحدي والاستجابة :

وبحكم تجربة توينبي الفكرية الواسعة المدى فقد وجه توينبي ردوداً حاسمة على نظريات الجنس والبيئة فذهب الى أن جميع العوامل البيولوجية وعوامل البيئة لا تكون عوامل مشتركة فيما بينها، وانما تؤلف نمطاً من العلاقات بين العوامل فهي كل متعدد وليست كل منفرد، فيحاول هذا المفكر، بما يحمله من ذهن مستوعب أن يخلق شعوراً شاملاً في قصة نشوء الحضارة مستعيناً في ذلك بكل ما يتوفر من دراسات مقارنة للمجتمعات البدائية الى جانب استخدام ما توصل إليه العلماء في التاريخ والجغرافية[٢٢].

فلقد حاول إعطاء البيئة الطبيعية والجغرافية أهمية خاصة في خلق الحوافز الحضارية وتفسير الأحداث التاريخية، معتمداً في ذلك على مناقشته للنظرية التي اعتمدها الإغريق الهيلينيون والخاصة بالبيئة أساساً حتمياً يمكن من خلاله فهم الخصائص الحضارية للشعوب[٢٣].

انطلق توينبي من أن مادة التاريخ هي حياة أقسام موحدة من البشرية، اسماها ((المجتمعات))، وذكر منها مجتمع ((المسيحية الغربية)) ومجتمع ((المسيحية الشرقية أو البيزنطية)) والمجتمع الإسلامي، والمجتمع الحضري، ومجتمع الشرق الأقصى، وهي مجتمعات لا تزال قائمة كحضارات في الوقت الحاضر، وبالإضافة إلى ذلك يتبين ما يشبه المتحجرات التي تحمل أثار مجتمعات بادت مثل المسيحية النسطورية واصحاب الطبيعة الواحدة، ويصف العلاقات والفوارق بين هذه المجتمعات بأنها عالمية oecumenical، بينما يسمى الفوارق والعلاقات في نطاق مجتمع واحد، مثل ما بين فرنسا وإنجلترا قومية parochial وأهم مهمات المؤرخ تتصل بملاحظة وتمييز هذه الوحدات، أي المجتمعات، ودراسة العلاقات بينها[٢٤].

في البداية يعرض توينبي مقدمة للنظرية التي تفسر عملية التحدي والاستجابة، وكيفية تأثيرها على نشوء الحضارات، فتوينبي يقوم بدراسة مقارنة للحضارات، وأسئلته الرئيسية التي يطرحها هي كيف تظهر الحضارات ولماذا ؟ ثم

كيف تنمو ولماذا ؟ وكيف تنهار وسبب ذلك، فالحضارة تنمو حين تتعرض الحضارة لتحدٍ challenge فتستجيب له استجابة ناجحة Response، وبذلك لا تقتصر على تجاوز المحنة بل تولد نفسها القدرة على مواجهة تحديات مقبلة، وبتوالي المواجهة للتحديات باستجابات اكبر تنمو الحضارة وتنمو حيوية الناس الداخلية(٢٥)، فيستعرض القصص الديني على أساس هذه الفكرة وهي قصة أكل حواء لفاكهة الشجرة التي حذرهم الله منها، إذ ينتهي إلى أن الصراع بين الخير والشر إنما هو حقيقة قائمة، ويتخذ صوراً مختلفة، وتعبر الأسطورة عن حقائق هذا الصراع بين الإنسان والطبيعة من اجل خلق مجتمعه وحضارته، وهنا يؤكد توينبي مرة أخرى أن الحضارة إذاً لم تكن نتيجة لسمو جنس ما، أو نتيجة لبيئة جغرافية معينة، وانما هي نتيجة للاستجابة لتحديات معينة تتسم بالثبات وتستثير الإنسان للقيام بجهد فائق، وهكذا يناقش توينبي ثانية نظرية البيئة التي يعدّها بعضهم أساساً يفهم في ضوئه خصائص الحضارات(٢٦) .

ومن بين التحديات التي يرى توينبي أنها من حوافز الاستجابة في الكيانات الاجتماعية التحدي الداخلي المتمثل في الجزاء الذي يصيب جزءاً من الكيان الاجتماعي بعطل، فنجد عندئذٍ أن المجموعة البشرية التي يصيبها هذا الجزء فيحرمها بعض قدراتها في مجال ما تتوجه إلى مجال آخر لتبدع فيه وتبتكر، ويرى توينبي أن هذا القانون الاجتماعي له نظيره في الأنواع البيولوجية، فعندما يصاب عضو من الأعضاء بعطب نجد بعض الأعضاء الأخرى تحل محله لتؤدي دوراً تتفوق فيه في مجال آخر، ويطبق توينبي هذا القانون على هجرة الأرقاء المستعبدين الذين وفدوا إلى روما في القرنين المليئين بالمصائب والأهوال، فنجد أن كثيراً من هؤلاء الأرقاء قد بلغوا في نهاية الأمر قمماً عالية في المجتمع الروماني فاصبح منهم الملوك والفلاسفة وكبار الكهان وحققوا معجزة الأيمان بالمسيحية التي أرغمت روما فيما بعد على يد الإمبراطور قسطنطين على الاستسلام الكامل(٢٧).

لم يركز توينبي على الأمم والعصور في دراسته، إنما كان جل عنايته بالمجتمعات والحضارات التي قسمها إلى إحدى وعشرين حضارة لم تبق منها سوى

خمس هي : المسيحية الغربية، والمسيحية الأرثوذكسية، والإسلامية، والهندية، وحضارة الشرق الأقصى، وتضاف إليها مخلفات المجتمعات المتحجرة غير المعينة الشخصية، مثل حضارة اليهود والبارسيين[٢٨].

ويخلص توينبي من آرائه بشان ظهور الحضارات إلى إنها نتيجة استجابة لتحدِ صادر أما عن البيئة المادية واما عن الوسط البشري أو عن كليهما وذلك في ظروف معينة أوردها ضمن مؤلفه[٢٩].

ويرى العلامة توينبي ان للأحداث التاريخية جانبين : مادي وروحاني، وهنا يختلف عن المؤرخين الآخرين الذين تقتصر أعمالهم على التطرق للأحداث التاريخية سردياً من غير استقصاء لدوافعها، أو الذين يفسرونها مادياً مثلما يفعل فلاسفة الاشتراكية الذين ابتكروا فلسفة التفسير المادي للتاريخ، وعلى أساس الناحيتين المادية والروحية يعرض توينبي لبدايات الحضارات وارتقاءاتها وانهيارها[٣٠].

١- بدايات الحضارات :

لا يقبل توينبي بالفكرة القائلة بوجود حضارة واحدة هي الحضارة الغربية، كما يدحض نظرية استطالة الحضارة القائلة بان مصر هي اصل جميع الحضارات، وعنده أن من بين المجتمعات الحضارية الإحدى والعشرين هناك خمس عشرة حضارة تتصل بصلة البنوة بحضارات سابقة، لكن ثمة ستة مجتمعات فقط قد انبعثت مباشرة من الحياة البدائية تلك، ومن بين الستة هذه هناك ثلاث حضارات مشهورة هي المصرية، السومرية والصينية[٣١].

إذ لا يمكن أن يعزى قيام الحضارات الى صفات معينة في جنس من الأجناس، إذ لايمكن أن يرتبط التفوق الروحي والذهني بلون البشرة، فالواقع أن جميع الأجناس قد ساهمت في انبعاث الحضارة[٣٢].

وبصورة أدق لايمكن اعتبار البيئة هي العامل الإيجابي الذي جلب الحضارات إلى الوجود، وان كان هذا عاملاً عظيماً ذا خطر في التشكيل الثقافي،

فهناك عامل لايمكن تحديده: هو سيكولوجي في طبيعته، وهو أخطر عوامل انبعاث الحضارات أهمية واشدها ارتباطاً بالقضاء والقدر[٣٣].

وهنا يلتجئ توينبي إلى استعراض الأساطير الكبرى التي أودعها الجنس البشري حكمته كما يلتجئ إلى الأديان، فاستخلص الفكرة القائلة أن الإنسان قد حقق الحضارة ليس على أساس التفوق العنصري، أو ثمرة بيئة جغرافية، ولكنه حققها استجابة لتحدِ موقف ذي صعوبة خاصة، استثار الإنسان لبذل جهد ما، لم يبذله من قبل .

ويعطينا مثلاً على ذلك انبعاث الحضارة المصرية، فلقد كانت الصحراء الكبرى والصحراء العربية قبل فجر الحضارة أرضاً رعوية عامرة بالمياه، ثم أصاب تلك المراعي الجفاف الطويل فجابه سكانها بتحدِ استجابوا له بطرائق مختلفة تمثلت بتمسك البعض بأرضهم وتغيير عاداتهم، فابتكروا نمط الحياة البدوية، فيما نقل آخرون مواطنهم إلى المناطق الاستوائية حيث المراعي فاحتفظوا بطريقة حياتهم البدائية التي مازالوا يعيشونها حتى الآن، فيما لجأ آخرون إلى مستنقعات وغابات الدلتا (دلتا النيل) فجابهوا هذه المستنقعات بما مثلته من تحدِ لهم فعملوا على تجفيفها، وبذلك تمكنوا من إقامة الحضارة المصرية[٣٤].

وهكذا يستخلص توينبي إلى انه : يمكن تفسير بدايات الحضارة في الفرض القائل أن الأحوال الصعبة هي التي تولد الأعمال العظيمة، وهذه الفكرة لا تقتصر على البيئة المادية، وانما تتجاوزها إلى البيئة البشرية إذ نجد البيئة المبتدعة في كل حالة هي التي تلقى الصعوبات المادية أو البشرية، فالأرض البكر تبرز استجابات اشد حيوية من الأرض التي سبق اقتحامها بالفعل وشغلها مقيمون متحضرون فيسروا المعيشة فيها، كما أن الهزيمة الساحقة الفجائية كفيلة باستثارة الجانب المهزوم لترتيب نظام داره والاستعداد لتحقيق استجابة منتصرة، ثم يظهر توينبي استقراءاً مفاده أن الشعوب التي تشغل مواقع حدود وتتعرض لعدوان متصل تظهر استطالة اشد إشراقا من جيرانها أصحاب المواقع المحمية، وتستجيب الشعوب والطوائف التي أصابتها النقم لتحدي الحرمان من المشاركة في فرص ومزايا معينة بإبراز طاقة استثنائية

وإظهار أهلية غير عادية في الاتجاهات المفتوحة أمامها، ومثلها في هذا الشأن مثل الأعمى الذي تقوى لديه حاسة السمع فتكون قوة خارقة[٣٥].

٢- ارتقاء الحضارات :

يرى توينبي أن الارتقاء الحضاري يحدث حينما تصبح الاستجابة لتحدٍ معين، لا ناجحة في نفسها فحسب ولكنها تستثير تحدياً إضافياً يقابل باستجابة ناجحة[٣٦].

فالارتقاء هو عملية تالية لتكوّن الحضارات ويكفلها وجود حالتي (الين و اليانج)، أي انه لابد من وجود انطلاق ومحتوى يحفز الطرف المتحدى الى تحد جديد، ويلهمه استجابة، وهكذا في عملية الارتقاء فهي لاتنتهي ويعطي دعماً لنظرته هذه بمثال عن الحضارة الهلينية التي تعرضت لتحدي زيادة السكان، فالين واليانج هي تعبير عن التحدي والاستجابة، والمصطلحين صينيان، فحالة الين تمثل السكون بينما الياتج تمثل الحركة[٣٧].

إن قوام عملية الارتقاء الحقيقي يطلق عليه توينبي كلمة (التسامي) ويعني بها التغلب على الحواجز المادية، وتعمل عملية (التسامي) على إطلاق طاقات المجتمع من عقالها، لتستجيب للتحديات التي تبدو بعد ذلك داخل النفس اكثر منها خارجها، أي أنها روحانية الطابع اعظم منها ماديته، فعلاقة الفرد بالمجتمع في ظل عملية الارتقاء تقوم على أساس التسامي كما يرى توينبي[٣٨].

أن الارتقاء يتضمن تمايزاً بين أفراد المجتمع الذي يسير في مرحلة النمو، إذ ستبرز بعض الأجزاء استجابة ناجحة في كل مرحلة، فينجح بعضها في تتبع خطاها بفضل المحاكات، ويفشل بعضها في تحقيق الأصالة أو المحاكات على السواء، ومن ثم تتهاوى وسيكون ثمة تمايز بين مصائر المجتمعات[٣٩]، إن هذا التمايز بين الحضارات في الأساليب الفنية لا يخفي عند توينبي طابع الوحدة بين الحضارات الإنسانية وذلك لان ((التنوع الذي يبتدئ في الحياة والنظم البشرية ظاهرة سطحية تحجب خلفها وحدة كامنة دون أن تغيرها))[٤٠]، فمن الواضح أن للمجتمعات

المختلفة سمات مختلفة، إذ يتفوق بعضها في الفن، وبعضها الآخر في الاستنارة الدينية، والآخر في الابتكارات الصناعية، بيد إن غايات الحضارة تتماثل في جوهرها مثلها مثل البذور من نوع واحد، فلكل حبة مصيرها، وأن كانت تشترك جميعها في النوع ولكن يبذرها جميعها (باذر) واحد ليجتني نفس المحصول(٤١).

أن وحدة الطريق الذي رسمه توينبي لموضوعة ارتقاء المجتمعات كان يمر من خلال سلسلة متصلة من عمليات التحدي والاستجابة، ألا أن ذلك لم يوصله إلى القول بتماثل الحضارات من حيث الخصائص والمميزات، بل أكد على إن الحضارات تتمايز عن بعضها لأن تجارب الفئات المتعددة التي تنهض بتلك العملية ليست متشابهة متماثلة إذ أنها تختلف باختلاف الكيفية التي يستجيب أو يرد بها الفرد أو الأقلية الخلاقة أو المجتمع كله على التحديات(٤٢).

ويرى توينبي أن هناك نوعاً من التحديات تفد من الخارج فتستثير الطاقات الإبداعية في المجتمع، ويضرب مثلاً وهو تعرض مجتمع الشرق الأوسط لتأثيرات حضارية تتنافى مع طبيعته، وتتجلى تلك التأثيرات في خضوعه لإشعاعات الثقافة اليونانية بفعل الاحتلال اليوناني ثم الروماني، وقد تمثلت استجابة سكان الشرق الأوسط لهذا التحدي الوافد من الخارج باعتناق الإسلام، إذ اندفع المسلمون بقيادة العرب لاسترداد مجد الشرق الأوسط الذاوي، فقد انبنى على انتصار الإسلام استرداد الشرق الأوسط شخصيته التي أهدرها العدوان الثقافي الهليني أجيالاً طويلة فأصبحت المدن الإسلامية مراكز الحضارة الإسلامية الزاهرة(٤٣).

أما الاستجابات التي تتم بفعل تحديات تنشأ داخل المجتمع فقد شبه توينبي المجتمع الذي يمر بهذه الحالة بالجسم الإنساني، الذي يبتلى بفقد عضو من أعضائه أو ينكب إنسان بخسارة ملكة من ملكاته، تعتبر هذه الخسارة تحدياً يستجيب له الإنسان المصاب بالتخصص في استعماله عضواً آخر أو ملكة أخرى حتى يوازي أقرانه في ميدان النشاط الجديد هذا، وذلك ليعوض ما قصر عنده(٤٤)، وهنا يعطي توينبي عدة أمثلة على ذلك منها تحدي المصريين للقوة المادية البيزنطية باعتناق المسيحية(٤٥)، وتخصص اليهود في الشؤون المالية، والباريسيين في التجارة(٤٦).

٣- انهيار الحضارات :

من الإحدى والعشرين حضارة التي انبعثت الى الوجود لم يتبق سوى خمس حضارات، وهذا يعني ان ست عشرة حضارة قد انهارت، أما أسباب الانهيار فيوجزها توينبي[٤٧]:

١- قصور الطاقة الإبداعية في أقلية المجتمع، وهذه الأقلية هي التي تتولى قيادة أغلبيته العاطلة عن الإبداع ٠

٢- عزوف أغلبية المجتمع عن محاكاة أقليته، وذلك بعد ما يتبين لهذه الأغلبية قصور أقلية المجتمع الرائدة الإبداعية .

٣- تفكك وحدة المجتمع الاجتماعية بفقدان الثقة بين أقلية المجتمع الحاكمة وأغلبيته المحكومة، ثم ضياع وحدة المجتمع الاجتماعية ثم انهياره .

فنظرية توينبي ترتكز في موضوعة انهيار الحضارات على نظريته في التحدي والاستجابة، فاستمرار التحدي وتكراره في حضارة ما أما أن ينتهي باستجابة على التحدي وتصعد الحضارة في طريق التقدم، واما أن تخفق هذه الحضارة في الرد على ذلك التحدي وفي خلق استجابة إزاء تلك التحديات، فهذه السلسلة المتكررة من الاستجابات المخفقة إزاء هذه التحديات هي في الحقيقة المصدر الأساسي لتدهور الحضارات[٤٨].

٤- تحلل الحضارات :

إن التحلل أو التحجر حسبما يسميه توينبي هو مصير الحضارة، إذ أوضح إن دخول حضارة ما مرحلة الانهيار لايعني بالضرورة تحللها وموتها في القريب العاجل، إذ تمر الحضارة في مرحلة تحللها بثلاثة أدوار أو عصور هي[٤٩] :

أ- عصر الاضطرابات.

ب-عصر الدولة العالمية.

ج- دخول تلك الحضارة مرحلة فراغ ينتهي اما بموت الحضارة او تحجرها.

واعطى أمثلة كثيرة منها ما اعتقده انه من الأمثلة البارزة وهي الحضارة المصرية، فأنه بعد انهيار المجتمع المصري تحت العبء الجسيم الذي فرضه عليه بناة الأهرام، يجد أن هذا المجتمع المشرف على الموت بشكل واضح يرفض أن يموت ويمضي المجتمع المصري ليضاعف فترة حياته[٥٠]، فأذا ما تم حساب مقياس زمن المجتمع المصري لحظة رد الفعل الاستثاري ضد الغزاة الهكسوس في أبان الربع الأول من القرن السادس عشر قبل الميلاد حتى طمس آخر معالم الثقافة المصرية في القرن الخامس الميلادي، سيجد المتتبع إن فترة الالفي سنة هذه تبلغ استدامتها مجموع طول ميلاد المجتمع المصري مع ارتقائه وانهياره، الجانب الأعظم من فترة انحلاله وتحسب هذه الفترات مجتمعة من تاريخ إعادة توكيد المجتمع المصري نفسه أبان القرن السادس عشر قبل الميلاد حتى انبعاثه لاول مرة فوق المستوى البدائي خلال الألف الرابع قبل الميلاد، بيد أن حياة المجتمع المصري في غضون النصف الثانية من بقائه كانت نوعاً من ((الموت في الحياة)) وفي خلال هاتين الالفي سنة اللتين تُعدّان زائدتين عن المقدر في حياة المجتمع المصري، أخذت حضارته التي حفلت حياتها الجارية بالحركة والمعنى، تتباطأ بفتور وتعطل، وفي الواقع عاش المجتمع المصري بفضل صيرورته متحجراً[٥١].

ويرى توينبي ميزان التحلل الحضاري من خلال انقسام الجسم الاجتماعي الى كسور ثلاثة:[٥٢]

أ– أقلية مسيطرة ب – بروليتاريا داخلية ج – بروليتاريا خارجية

فالأقلية المسيطرة هي تلك الطبقة المبدعة التي كانت أغلبية المجتمع تفتدي بها وتحاكيها وتقتفي أثرها في طريق الارتقاء، لكنها تحولت إلى أقلية مسيطرة بعد أن فقدت طاقتها الإبداعية[٥٣].

فيما يصف لنا البروليتاريا الداخلية بأنها الجماهير التي باتت تحكمها الأقلية المسيطرة[٥٤]، فهذه الجماهير باتت تشعر بأنهم ينتمون لهذا المجتمع بأجسادهم فقط، والصفة الأساسية التي تميز هذه الجماعة هي شعورها بأنها محرومة من مكانتها المشروعة في هذا المجتمع[٥٥].

فالبروليتاريا الداخلية هو الوصف الذي أطلقه على الأكثرية المقهورة من قبل الأقلية المسيطرة، هي الوسط الملائم الذي تنمو في داخله بذور الديانة الجامعة التي ستأخذ زمام المبادرة في تقويض ((أركان الإمبراطورية الفاسدة وما ساد فيها من عبادة باطلة للمعايير النسبية وتقديس مهدور للصنميات الفانية في شتى مرافق الحياة الفكرية والاجتماعية ثم تهب الحياة بعد ذلك للحضارة الطالعة))[٥٦].

أما البروليتاريا الخارجية، فهي الشعوب المحيطة بالدولة والتي تتربص بها وتسعى إلى الانقضاض عليها إن ألمّ بها ضعف، وتنشئ مكان المجتمع القديم مجتمعاً حديثاً، فلكل جزء من أجزاء المجتمع وظيفة تتلخص في[٥٧]:

١- تنشئ الأقلية المسيطرة دولة عالمية .
٢- تستجيب البروليتاريا الداخلية الى نداء الروح فتعتنق ديانة عالمية .
٣- تؤلف البروليتاريا الخارجية عصابات حربية بربرية تبتكر أشعار الملاحم مثل الإلياذة والأوديسة لهوميروس ٠

وعلى كل ذلك فأن توينبي يرى ان التاريخ يسير الى غاية أخلاقية، وهو بذلك تقرب اكثر من أسلوب المثاليين في التاريخ، ولم يكتف بتناول التاريخ كله بل تجاوزه الى المستقبل وحاول أن يشير الى احتمالات الحضارة الغربية المقبلة، وبذلك يكون قد تحول من الاجتماع الى ما وراء الطبيعة[٥٨].

فهو هنا يستقرئ ويتوقع أن تخفق الحضارة الغربية في توحيد العالم في أسرة واحدة وكأني أراه يتحدث هنا عن عصر (العولمة والأمركة) الراهن .

وهنا فقط سيحدث الانفجار الذي سيتمثل في انتفاض أبناء الحضارات غير الغربية على التسلط الغربي، فهو يتوقع أن يكون لابناء الحضارة العربية الإسلامية دور فعال في هذه العملية، ولكنه يعود ليضع تطور الأسلحة الحديثة واستخدام أسلحة الدمار الشامل الغربية عائقاً محتملاً، لكنه هنا يتناسى إرادة الشعوب وتصميمها وعقائديتها، كما انه لا يتوقع أن يتفق أبناء الحضارة العربية الإسلامية على مقاومة الحضارة الغربية بسبب عجز التقليدين عن مقارعة الغرب ورفض المجددين لذلك وكأن به يريد بهم أولئك الحكام العرب المعزولين عن شعوبهم السائرين في ركاب الغرب الاستعماري والمتخندقين معه ضد إرادة شعوبهم والساهرين على تطبيق وتحقيق أحلام الاستعمار والصهيونية(٥٩).

إن الفهم الصحيح لفلسفة هذا الرجل التاريخية يكمن في وضعه ضمن إطار المدرسة الإنجليزية المحافظة التي تنحو نحواً مثالياً مسرفاً، وتقيم وزناً كبيراً للفرد البطل والعبقري الملهم الذي يحرك التاريخ، وبالرغم من شموخ عمله من حيث الجهد الكبير الذي يُعدّ بحق أعجازاً في الإنجاز فأنه قد تعرض للنقد والتجريح حتى من قبل مؤرخين من بني جلدته(٦٠).

إن توينبي يستحق منا كل الثناء لمواقفه السياسية المتعاطفة مع القضايا العربية وهي والحمد لله كثيرة وكثيرة وبحاجة ماسة إلى من يناصرها في هذا العصر الجديد من القرن الواحد والعشرين الجديد الذي افتتح بالاستعمار الإمبريالي الأمريكي الجديد ابتداءً باحتلال أفغانستان عام ٢٠٠١ واحتلال العراق عام ٢٠٠٣ والقائمة تترى تطبيقاً لما تذهب إليه أمريكا والغرب الاستعماري من ورائها وتطبل له وتزمّر من مشروع الشرق الأوسط الجديد الذي يقوم في أساسه على (سايكس بيكو) جديد يجزأ المجزأ ويقسم المقسم ضماناً لسيادة وهيمنة الكيان الصهيوني على المنطقة كلها ، إذ

كان توينبي يبني مواقفه على مناصرة الحريات والعدالة وشجب العنصرية والاستعمار وتحدي النزعات الأرستقراطية الوطنية وتحدي النزعات الفكرية المتسامية[٦١].

وإذا كان لابد لنا من الإجابة على السؤال القائل هل البطل هو صانع التاريخ أم الشعوب هي التي صنعته، فلا بد لنا هنا من أن نرفض هذا الفرز القائم بين البطل وشعبه ذلك الفرز الذي أوقع الخلاف بين المفكرين فيمن يصنع التاريخ البطل أم الشعب .

ورفضنا قائم على أساس واضح وهو إن البطل ابن الأمة ولابد أن يكون قد برز من بين رحمها ليعبر عن آمالها وتطلعاتها، ولا يمكن لشعب أن يحقق أهدافه من غير قيادة نابعة منه مستلهمة لآماله وآلامه تقوده إلى حيث المجد والرفعة، ولذلك فلا البطل وحده يصنع التاريخ بمعزل عن قاعدته الجماهيرية الشعبية ولا الشعب وحده يصنع ذلك التاريخ من غير حُداة يقودون مسيرته نحو الظفر وصناعة المجد، ولذلك فأذا ما كذب الرائد أهله فما هو التاريخ الذي يصنعه شعبه، أو إذا خان الشعب رائده وقائده فما هو التاريخ الذي يصنعه الرائد القائد لشعبه من غيرهم؟.

الخاتمة:

من خلال البحث المتواضم هذا توصلنا الى جملة نتائج هي :

١- ان التحولات الثقافية والأوضاع الحضارية هي السبب في اختلاف النظرة الى التاريخ على اختلاف العصور .

٢- ان محور نظرية توينبي في دراسته للتاريخ هو ((التحدي والإستجابة)).

٣- ركز توينبي في دراسته على كل الحضارات العالمية على عكس الفلاسفة والمؤرخين الآخرين الذين ركزوا على الحضارات الغربية واهملوا الحضارات الأخرى.

٤- ان توينبي وهو من مواليد لندن عام ١٨٨٩م، فإنه مدين لوالدته في الفضل عليه في تعلمه التاريخ، فهي حاصلة على شهادة البكالوريوس في التاريخ .

٥- كانت صحبته لأمه صحبة فكرية نادرة.

٦- ترك توينبي لنا عدداً كبيراً من المؤلفات المهمة، كان من ابرزها مؤلفه الضخم (دراسة للتاريخ) في ١٢ مجلداً.

٧- كانت ثقافته هيلينية،إذ امضى١٥ عاماً في دراسة اللاتينية و١٢عاماً في دراسة اليونانية.

٨- هناك تشابه في بعض اوجه التفكير بين توينبي وهيجل، وقد اعتبرت بعض أفكاره امتداداً لآراء وأفكار هيجل .

٩- اعطى البيئة الطبيعية والجغرافية اهمية خاصة في خلق الحوافز الحضارية وتفسير الأحداث التاريخية .

١٠- لا يقبل توينبي بالفكرة القائلة بوجود حضارة واحدة هي الحضارة الغربية، كما يدحض النظرية القائلة بأن مصر هي أصل جميع الحضارات .

١١- يرى توينبي أن الارتقاء الحضاري يحدث حينما تصبح الاستجابة لتحدٍ معين لا ناجحة في نفسها فحسب، ولكنها تستثير تحدياً إضافياً يقابل باستجابة ناجحة.

١٢- درس توينبي انهيار الحضارة وتوصل الى اسباب الإنهيار والتي منها قصور الطاقة الإبداعية في أقلية المجتمع، وعزوف أغلبية المجتمع عن محاكاة أقليته وتفكك وحدة المجتمع الاجتماعية بفقدان الثقة بين أقلية المجتمع الحاكمة وأغلبيته المحكومة، ثم ضياع وحدة المجتمع الاجتماعية ثم انهياره .

١٣- أما تحلل الحضارات أو تحجرها حسب توينبي فيراه هو مصير الحضارة، إذ تمر الحضارة في مرحلة تحللها بثلاثة ادوار أو عصور هي الاضطرابات ثم الدولة العالمية ثم دخول الحضارة مرحلة فراغ ينتهي إما بموت الحضارة أو تحجرها .

الهوامش والتعليقات:

ملاحظة: سأذكر هنا المعلومات كاملة عن المصدر والمرجع عند وروده لأول مرة مما يغنينا عن إعداد قائمة للمصادر والمراجع.

(*) ينظر: الدوري، عبد العزيز،'' فلسفة التاريخ ، عرض تاريخي ''، مجلة عالم الفكر، المجلد الثاني، العدد الثاني، ص٦٥- ٨٤ فلينظر.

(١) علم الدين، نيفين جمعة، فلسفة التاريخ عند آرنولد توينبي ، (القاهرة، ١٩٩١م)، ص١٩.

(٢) شبل، فؤاد محمد، توينبي مبتدع المنهج التاريخي الحديث، (لقاهرة، ١٩٧٥م)،ص١٣.

(٣) علم الدين ، المصدر السابق، ص٢٠، إذ تخصص بدراسة تاريخ اليونان والرومان القديم وتعلم اللغتين اليونانية واللاتينية وآدابهما، ينظر:الملاح، هاشم وآخرون، دراسات في فلسفة التاريخ،(الموصل ١٩٨٨)، ص٢١١.

(٤) شبل، فؤاد محمد، المصدر السابق، ص٢٠، ينظر تفاصيل اكثر عن حياته في : الملاح، دراسات، ص ٢١١-٢١٢.

(5) Arnold of History ، 10 Vols oxford . I . III، Astudy J . toynbee . 1934، Iv-Vi 1939،v111- x 1954.

(٦) علم الدين، المصدر السابق، ص٢٠، ينظر التفاصيل عن موسوعة توينبي في : د . عبيد، اسحق، معرفة الماضي من هيرودوت الى توينبي ، ط١،(القاهرة، ١٩٨١م)، ص٢٠ وما بعدها .

(٧) احمد محمود صبحي، في فلسفة التاريخ، (الإسكندرية،١٩٩٠ م)، ص٢٥٨.

(٨) خطاب، صدقي عبد الله، آرنولد توينبي، مجلة عالم الفكر، الكويت، المجلد الخامس، ١٩٧٤، ص ص ٢٩٢- ٢٩٦.

(٩) توينبي، آرنولد، مختصر دراسة للتأريخ، ط٢، (القاهرة، ١٩٦٥)،ج٤، مقدمة المترجم فؤاد محمد شبل.

(١٠) شبل، توينبي مبتدع المنهج التاريخي الحديث، ص١٣؛ ينظر كذلك، د٠ محمود إسماعيل، البطل التاريخي بين كارلايل وتوينبي، بحث مكتوب على الآلة الكاتبة، نسخة منه لدى الباحث، ص٦.

(١١) الدوري، فلسفة التأريخ، عرض تأريخي، مجلة عالم الفكر، ص٧٨.

(١٢) علم الدين، فلسفة التاريخ عند آرنولد توبيني، ص٢٠.

(١٣) المطيعي، لمعي، آرنولد توبيني، (الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٦٧م)، ص٨ .

(١٤) المطيعي، ن٠م، ص٩.

(١٥) الدوري، فلسفة التأريخ، ص٧٨.

(١٦) علم الدين، فلسفة التأريخ، ص٢١؛ ينظر كذلك د٠ محمود إسماعيل، البطل التاريخي، ص١٠٠.

(١٧) علم الدين، ن٠م، ص٨١، ينظر كذلك صبحي، في فلسفة التاريخ، ص ٢٦٢، وهذا رأي سبقهم إليه العالم ابن خلدون .

(١٨) علم الدين، ن٠م، ص٨١.

(١٩) علم الدين، فلسفة التاريخ، ص ص ٨١- ٨٢، ينظر كذلك صبحي، في فلسفة التاريخ، ص٢٦٢.

(٢٠) علم الدين، ن٠م، ص٨٢، ينظر كذلك إسماعيل، محيي الدين، توينبي، منهج التاريخ وفلسفة التاريخ (بغداد، ١٩٧٧م)، ص١٩ ٠

(٢١) إسماعيل، توينبي منهج التأريخ وفلسفة التأريخ، ص٣١.

(٢٢) صبحي، في فلسفة التاريخ، ص٢٦٥.

(٢٣) الملاح، دراسات في فلسفة التاريخ، ص١٠٥.

(٢٤) الدوري، فلسفة التأريخ، ص٧٨.

(٢٥) الدوري، فلسفة التاريخ، ص ص ٧٨- ٧٩.

(٢٦) صبحي، في فلسفة التأريخ، ينظر علم الدين، فلسفة التاريخ، ص ص ١١٦– ١١٧.

(٢٧) صبحي، ن.م، ص٢٦٧، إسماعيل، توينبي، ص٣٤ وما بعدها .

(٢٨) توينبي، مختصر دراسة للتأريخ، ط٢، ترجمة فؤاد محمد شبل،(القاهرة ١٩٦٥م)ج١، ص١١٢ وما بعدها، ينظر كذلك : الدوري فلسفة التاريخ، ص٧٨.

(٢٩) توينبي، ن. م، ج١، ص١٧٤ وما بعدها، ينظر كذلك السامرائي، نعمان عبد الرزاق، اضواء على تفسير التاريخ، ط١،(الرياض، ١٩٨٤) ص٥٤ ، ينظر كذلك: الدوري، فلسفة التأريخ، ص٧٩.

(٣٠) توينبي، ن. م، ج١، ص٢٧٥ وما بعدها، ص٣١٣، ٣٤٩، ٤٠٩ حيث يفصل في نمو الحضارات وارتقاءها وتحللها وانهيارها وللتفاصيل ينظر : الملاح، دراسات في فلسفة التاريخ، ص ص ٢١٤– ٢١٥.

(٣١) توينبي، مختصر دراسة للتأريخ، ج١، ص١١٣– ١٢٥، ينظر كذلك : الدوري، فلسفة التأريخ، ص٨٠، أما الثلاثة الباقية فهي المينووية والمايانية والأنديانية إذ قامت الأخيرتان في أمريكا اللاتينية، المصدر والصفحة نفسيهما.

(٣٢) إسماعيل، توينبي منهج التاريخ وفلسفة التاريخ، ص٥١.

(٣٣) علم الدين، فلسفة التاريخ، ص ص ١٢٢– ١٢٣.

(٣٤) شبل، توينبي، ص٦٨، عبيد، إسحاق، معرفة الماضي، ص١٣٥.

(٣٥) توينبي، مختصر دراسة للتأريخ، ج١، ص٣١٧.

(٣٦) توينبي، مختصر دراسة للتاريخ، ج١، ص٣١٣ وما بعدها، ينظر كذلك : الدوري، فلسفة التاريخ، ص٧٩.

(٣٧) علم الدين، فلسفة التاريخ، ص١٢٤، وعن الين واليانج ينظر : صبحي، احمد محمود، في فلسفة التأريخ، ص٢٦٩.، وللتفاصيل ينظر : الملاح، دراسات، ص ص ٢١٥ – ٢٣٢.

(٣٨) توينبي، مختصر دراسة للتاريخ، ج١، ص ص ٣١٣– ٣١٤.

(٣٩) تويبني، ن. م، ج١، ص٤٧٨، ينظر كذلك : عبيد، معرفة الماضي، ص١٣٤.

(٤٠) خوري، منح، التاريخ الحضاري عند توينبي، (بيروت، ١٩٦٠م) ، ج١، ص٤٠٤.

(٤١) توينبي، ن. م، ج١، ص٤٧٨، ينظر كذلك : عبيد، معرفة الماضي، ص١٣٤، خوري، التاريخ الحضاري، ج١، ص٤٠٥.

(٤٢) خوري،، التاريخ الحضاري، ج١، ص٣٧.

(٤٣) شبل، توينبي مبتدع المنهج التاريخي الحديث، ص٤٢.

(٤٤) شبل، توينبي، ص ص٤٢- ٤٣.

(٤٥) ينظر شبل، ن. م، ص ٤٨وما بعدها .

(٤٦) ينظر التفاصيل في لمعي المطيعي، آرنولد توينبي، ص٣١، وما بعدها وينظر كذلك: شبل، المصدر السابق، ص١٠٩ وما بعدها .

(٤٧) توينبي، مختصر دراسة للتأريخ، ج١، ص ص ٤١٢- ٤١٣، ينظر كذلك : السامرائي، نعمان عبد الرزاق، أضواء على تفسير التاريخ، ص٦١، ويعقب محمود صبحي على ذلك فيقول ((وهكذا فان المجتمع هو الذي جلب على نفسه عوامل الانهيار قبل ان يجلبها عليه غزو خارجي)) في فلسفة التاريخ، ص٢٧١، ينظر كذلك: الدوري، فلسفة التأريخ، ص٧٩-٨٠، وللتفاصيل أكثر ينظر : الملاح، دراسات، ص٢١٣- ٢١٤.

(٤٨) علم الدين، فلسفة التاريخ، ص١٢٩، إسماعيل، محيي الدين، توينبي، ص٧٠ وللتفاصيل الأكثر عن انهيار الحضارات ينظر : الملاح، دراسات، ص٢١٩- ٢٢٠.

(٤٩) خوري، التاريخ الحضاري، ج١، ص٤١١، ج٢، ص٦٤٤.

(٥٠) شبل، فؤاد محمد، توينبي، ص٤٧، عبيد، معرفة الماضي، ص ص١٣٦- ١٣٧.

(٥١) توينبي، مختصر دراسة للتاريخ، ج١، ص ص١١٤- ١١٥، ينظر التفاصيل في : شبل، توينبي، الفصل الرابع يبحث بالتفصيل في فكرة توينبي عن الحضارة المصرية، ص٥٩ -٧٠.

(٥٢) علم الدين، فلسفة التأريخ، ص١٣٣، وينظر التفاصيل في : توينبي، مختصر دراسة للتأريخ، ج١، ص١٢٨.

(٥٣) توينبي، مختصر دراسة للتاريخ، ج١، ص١٢٨، وينظر نيفين جمعة، فلسفة التاريخ، ص١٣٣ وللتفاصيل عن الأقلية المبدعة المسيطرة ينظر : خوري، منح، التاريخ الحضاري عند توينبي، ج١، ص ص١٠٨- ١٠٩.

(٥٤) توينبي، ن.م والصفحة، ينظر التفاصيل في: الملاح، دراسات، ص ص٢١٩- ٢٢٠.

(٥٥) جمعة، فلسفة التاريخ، ص٣٤ ولا بد لنا هنا من التوضيح إلى ان توينبي يستخدم مصطلح ((برولتياريا)).

بمعنى مخالف للمعنى الذي يستخدمه الماركسيون، فهم يقصدون به ((الطبقة العاملة)) التي لا يمتلك افرادها سوى قدرتهم على العمل اليدوي،انظر: الملاح، دراسات، ص٢٣٣.

(٥٦) خوري، التاريخ الحضاري، ج١، ص٤٠.

(٥٧) توينبي، مختصر دراسة للتاريخ، ج١، ص ص١٢٨- ١٢٩.

(٥٨) الدوري، فلسفة التاريخ، ص٨٠.

(٥٩) خوري، التاريخ الحضاري، ج١، ص٨٨- ٨٩.

(٦٠) إسماعيل، د. محمود، البطل التاريخي بين كارلايل وتوينبي، ص٢.

(٦١) المصدر نفسه، ص٤.